جمالية التلقي في ديوان الشيخ السماتي

أ.سعاد حميتي جامعة باتنة

ملخص :

إن ما يحدد القيمة الجمالية لأي نص أدبي إنما هو جمالية تلقيه و كيفية التأثير في المتلقي ، و هذا ما سنحاول استنطاقه من خلال عرضنا لبعض أشعار الشيخ السماتي ، و التي حاول من خلالها إثراء خزانة الأدب الشعبي و التي لاقت قبولا في الحياة الاجتماعية للقارئ و نستثني من ذلك بعض الأعمال التي استهجنها البعض و التي استدرك الشاعر فيها الأمر طالبا العفو و الصفح من أصحاب الزوايا آنذاك .

سنحاول الكشف معا الجدلية الرائعة بين الإنتاج و التلقي من خلال استنطاق بعض الأشعار ، إضافة إلى أفق التوقع الذي خلص بدوره التجربة الأدبية من النزعة النفسية إضافة إلى الانزياح الجمالي الذي حققته اتساع المسافة الجمالية بين أفق التوقع و أفق تلقيه .

Résumé:

La valeur esthétique est important dans le texte littéraire, mais comment influencer le récepteur, est ce que nous allons essayer d'interrogatoire grâce à notre offre de quelques poèmes de Sheikh Asamati? Qui a essayé à enrichir le trésor de la littérature populaire, qui ont gagné l'acceptation dans la vie sociale du lecteur et l'exclure de certains des Astahjnha de travail autre et a commencé Toutefois, lorsque le poète demande pardon et le pardon des coins des propriétaires à l'époque.

Nous allons essayer de détecter à la fois la dialectique entre la production brillante et la réception à travers l'interrogation de certains poèmes, en plus de l'horizon d'attente qui a conclu à son tour l'expérience littéraire de tendance psychologique en plus du déplacement esthétique réalisé en élargissant la distance esthétique entre l'horizon et l'horizon d'attente a été reçue

عرف الشيخ السماتي بالنبوغ وبالموهبة الشعرية منذ نعومة أظافره .فقد انقطع عن الدراسة بعد أن حفظ القرآن و شيئا من الفقه و علم التوحيد ليبدأ رحلته مع الشعر و الشعراء و كان الفضل في تفقهه و حفظه لكتاب الله الزاوية المختارية حيث "سلمه أبوه إلى الزاوية المختارية ليحفظ القرآن و ليتفقه في الدين و كان شيخ الزاوية آنذاك الشيخ محمد الصغير بن المختار – الذي سيصبح شيخا و صديقا لشاعرنا "، و قد كانت هذه الزاوية على عهده رباطا لعلوم اللغة و تدريس العلوم الدينية .إلى جانب الزاوية المختارية تجدر بنا الإشارة إلى زوايا أخرى كان لها الأثر الواضح (الروحي و الثقافي) في شعر السماتي نذكر منها على سبيل المثال زاوية الهامل[1].

و الشيخ السماتي ذو خيال واسع يسمو به إلى صور و مشاهد رائعة نجدها واضحة في قصائده الغزلية التي تشبه إلى حد ما قصائد امرئ القيس و يقول في ذلك الدكتور أحمد الأمين "فالشيخ السماتي الذي اشتهر بإنتاجه الغزير في الغزل يشبه كثيرا امرؤ القيس في وصفه الحسي و في إباحته و الحديث عن مغامراته مع عشيقاته .....الخ "[2]
و لهذا رأينا أن نولي اهتمامنا بالحديث عن جماليات التلقي أو التقويم الجمالي لأشهر قصائد هذا الشاعر الفحل.

2- التقويم الجمالي في قصائد السماتي:

المقصود هنا بالتقويم الجمالي مجموعة الأحكام الانطباعية البسيطة في أشعار السماتي وفق التتابع الزمني بعيدا عن التدوين التاريخي أو التقويم التاريخي لأعمال هذا الشاعر ؛فالتدوين التاريخي يقف حاجزا أمام استنباط الجماليات الحقيقية لهذه الأشعار يقول هانس روبرت ياوس في ذلك : "أن قيمة عمل أدبي ما و مرتبته لا تستنبطان من الظروف البيوغرافية أو التاريخية لنشأته ،و لا من موقعه ضمن تطور الجنس الذي ينتمي اليه فقط ،بل من معايير أدق من ذلك هي وقع هذا العمل و تلقيه و تأثيره و قيمته التي تعترف له بها الأجيال القادمة "[3]،و هذا ما نلمسه في أشعار السماتي التي آثر أن يكون عنوانها العشق ،هذه الأشعار التي ترددت فيها كلمة العشق مرارا و تكرارا ،و استعملت في مجالات متنوعة منها المدح و الغزل و فكان العشق هو المرتكز الذي انطلق منه الشاعر ، و خير دليل على تسمية أعماله أو وضعها تحت عنوان العشق هو كثرة أسماء النساء في أشعاره الغزلية و نجد ذلك في قصائده :زهوى،خيرة ،مريم الزهرة .....الخ يقول في قصيدة زهوى. (قيلت في ابنة احد الرجال لأجل تزويجها) يقول:

ما نيشي ع الخيل مقاصدي زهوى مولات الممشوط اسود طاح اقمار
انوصف للزايخة ذلك القشوة نجمة صبح فايته ضي الغرار

و في قصيدة أخرى بعنوان الزهرة يقول :

يا خوتي من عين مولات الدلواح راني صرت امكين بالحمة فاجع
دربات الممشوط بالخلجة كي طاح عاتق رمدي راخف اطرافه تالع

.....

و الحاجب مجرور من مدادالواح نون بلا محصة تعراق اصابع
و العين بزربوطها قالب محماح شرماط الكبدة بعقاره زاتع

ويقول في موضع آخر من قصيدة آ خيرة :

آ خيرة يجعل ذنوبي دارت بيك مثل الدارة و القمر في ميثالك
يحجب نورك و العقوبة ترجع ليك يهبط بعد ما اتعلى سليانك

و تجدر الإشارة هنا أيضا إلى أن الشيخ السماتي لم يقتصر في أشعاره على وصف المرأة من أجل الإثارة و تعداد محاسنها فحسب ،بل للمرأة الفاضلة قسط من أشعاره ، و نجد ذلك في هذه الأبيات :

آه وين زينات النعرة شابة و كهلة و بكرة
ما نعاف ما فيكم عرة شياب و رضع و صبيان

.....

حافلة بحلة مصانة طالقة سوالف تتغانى

.....

يلبسوا لحافات تجرجر من حرير طفسي نوع أصفر

.....

فقد صور لنا المرأة على نوعين إحداهما تنتمي إلى إمارة العشق و الأخرى إلى الرفق و التشفع و العفة.

لقد ذاع صيته و شهرته في كل أرجاء البلاد شمالا و جنوبا ،شرقا و غربا و هذا ما يثبت لنا مدى استجابة الناس لأشعاره و إقبالهم عليها : "فقد اكتسب شهرة واسعة ؛فشعره يروى في كل مدن الهضاب العليا طولاو عرضاو في بوادي و قرى الأوراس"[4]

فكانت له علاقات وطيدة مع الكثير من الناس خاصة الذين وجدوا ضالتهم عنده من خلال أشعاره التي عبر فيها عن حالاتهم النفسية التي كانوا يعيشونها .

و ما تجدر الإشارة إليه أيضا، أن جل أشعاره كانت تلقى في الأعراس و الولائم و الأسواق الأسبوعية، و هذا ما ساعد على ذيع صيته و شهرته.

3-جدلية الانتاج و التلقي :

إن الوعي بالعلاقة الجدلية بين الانتاج و التلقي سيفتح المجال أمام الفعالية المنتجة للقارئ ، يقول جان بول سارتر : " ...فاتحاد الكاتب و القارئ هوالذي يمنح الحياة للنص بما هو موضوع واقعي و متخيل انتجه العقل ،فلا فن إلا من أجل الآخر و بوساطة الآخر "[5] أو ما اصطلح عليه ياوس بالتلقي المنتج ، فالمتلقي سيكون أو سيصبح اللبنة الرئيسة في التواصل الأدبي ، فمعنى العمل الفني هو ذلك الحوار أو الجدلية بين الأثر وتلقيه أي بين النص و متلقيه .

أما عن التجربة الجمالية للقارئ تجاه العمل الأدبي أو تجاه أشعار السماتي فسنكتشفها من خلال القراءات المتنوعة لهذه الأشعار من طرف شخصيات أدبية استطاعت أن تكشف لنا هذه الجماليات منها قراءات الدكتور احمد الأمين هذا الأخير الذي استطاع أن يخصص له دراسة كما نشر له أربعة قصائد شعرية في كتابه (صور مشرقة من الشعر الشعبي الجزائري) نذكر منها هذه الأبيات التي قالها إعجابابجمال مدينة سطيف و بجمال حدائقها :

لو ماذا مكتوب ربي جا محكوم كنت مهني لسطيف أداني

نلقى فيه ألوان تفجي كل أهموم نص بنص مخالفة كل ألوان

الديدي و الياس و النمر المرقوم حتى العصفور نوحه بكاني

فمتلقي هذه الأبيات أو قارئها سيجد أو يكتشف هذه الجدلية الرائعة بين ما كتبه و من سيتلقى هذه الأشعار ،فهو المرسل لهذا الكلام و القارئ هو المتلقي لها و الذي له الحق في تقييمها و استنطاق صورها الرائعة ، فهذه الأبيات تعبر عن صور و مشاهد رائعة لهذه المدينة الجميلة بحدائقها و بورودها المتنوعة .و هذا ما يبين لنا خيال الشاعر الواسع الذي مكنه من نظم هذه الأشعار التي تصل إلى ذهن القارئ فيتذوقها و يمحصها ليستنطق صورها الرائعة .

كما تجدر الإشارة هنا إلى أن جل أشعار الشيخ السماتي كانت تلقى في السهرات الفنية كالأعراس فمتلقي الأشعار هنا جماعة كانت على الأرجح هي من تطالب بالتعبير عن العواطف و من ذلك قوله :

جلالة في طوع ولفي ما ينكل من طحنت قلبي سميد الرحاية
يا من جيت اتسالني ليك امهل بعد ربع أ حروف نوريك اسمايا

و قد تكون بعض الأشعار غير مربوطة بالحديث عن المرأة بل التعبير عن العاطفة الإنسانية التي تربط بين الأفراد.

و على العموم ، فأشعار السماتي كلها كانت موجهة إلى العشاق حيث تبنى التعبير عن مشاعرهم ملبيا لرغباتهم ، و لم تقتصر أشعاره على الحب بصفة خاصة ، بل عبر كذلك عن الحب بصفة عامة ، أي حب المرء لقومه و عشيرته ، و يتجلى لنا ذلك في هذه الأبيات المقتطفة من قصيدة قالها حين سجن :

عاشق و معشوق و أهلي ناس فحول سول خبري ثم في ناسي تلقاه

3-أفق التوقع :

أفق التوقع هو مفهوم نادى به ياوس ،و ذلك لغرض تخليص التجربة الأدبية من عوائق النزعة النفسية حيث يعرف لنا هذا المفهوم بقوله : " هو نسق من الإحالات قابل للتحديد الموضوعي يسمح بقياس استعدادات القارئ لتلقي عمل جديد بعيدا عن عوائق النزعة النفسية "[6] أي استخلاص المعايير الجمالية التي تتحكم في تلقي جمهور لعمل أدبي ما ، و العودة إلى تجارب القراء المتعاقبين ، و يكون ذلك بالانفتاح خارج النص خلال مرحلة تاريخية معينة و يقترح ياوس ثلاثة عناصر لبناء هذا الأفق و هي :- خبرة الجمهور أو القراء المسبقة للجنس الذي ينتمي اليه العمل الأدبي .

-أشكال و موضوعات أعمال ماضية نفترض معرفتها في العمل.

-التعارض بين اللغة الشعرية و اللغة العملية ، بين العالم الخيالي و العالم اليومي .

و سنحاول الآن أن نبين مدى تضافر هذه العناصر في ديوان الشيخ السماتي :

أ-خبرة الجمهور أو القراء:

انقسم جمهور القراء –قراء أشعار الشيخ السماتي – بين مؤيد و معارض ، بين مستحسن و مستهجن . و ممن استحسن شعره الدكتور أحمد الأمين هذا الأخير الذي لاحظ أن جل قصائده مغلفة بدثار الغزل إلا أنها تنقل و تعبر لنا عن تجارب و محن عاناها الشاعر و منها قصيدته " مرضي طول " و التي عاتب فيها الشاعر أصدقاءه و لامهم على التخلي عنه خاصة أثناء سجنه ، فظاهر القصيدة غزلي و لكن عمقها يحمل اللوم و العتاب يقول :

مرضي طول طال يا راحة قلبي في دايا حاروا الطبة و النظار
من سوسة لمدينة الباب الغربي سمارة و احواز راية و الجفار
سبع أحبار و لا عرف واحد طبي مختلفين سلاح سودان و كفار

.....

و نعيط كاش ما في قربي موالة و لا عربي تاقي خطار
نتفكر و نقول إذا طال سقبي لا حيلة لا سايرن مع القفار

خدعتنا الايام و اصبر يا قلبي يوسف قاسى فيه كم ليلة و نهار
و لكن- يقول الدكتور أحمد الأمين- الشيخ لم يجد آذانا صاغية لمناجاته و معاناته .
إضافة إلى أشعاره التي انتقد فيها سياسة الحكم الاستعماري و أدانها بقوة و دعا إلى العدالة و الإنصاف يقول في ذلك:

يا رب يا خالقني ناشي الأرواح ياك انت بصير بالخلق و سامع
ياك انت مجيب للداعي باصلاح استجب لما طلبتك يا طالع

و يقول في موضع آخر :

برد عني ما سكن بضميري طاح قبل لا يزداد كي سم اللاسع
بالورقة و شهود عدالى و صحاح حكم الجمهوري ليك انت بايع

فالشاعر ذو مواقف وطنية رائعة تجلت في أشعاره، كما أنه لم يقف إلى جانب القياد و لم يتردد عليهم أبدا.
هذا عن أغلب أشعاره المستحسنة . أما عن الأشعار التي استهجنها القراء أو بالأحرى أصحاب الزوايا هي الأشعار التي رأوا فيها خروجا عن الأخلاق و العادات الحميدة ؛فالشيخ السماتي لم يحظ بمكانة مرموقة لدى شيوخ الزوايا لقد عارضوا أشعاره بقوة لأنها مرموقة بالعشق و بوصف مفاتن النساء دونما حرج لذلك تم نقده و هدد بالتشهير به و بأعماله العذرية ، و لكنه واصل نظم أشعاره الغزلية و لم يتوقف يقول في إحدى قصائده :

أنا عندي راس مالي في الدنيا مسعودة و الغير خاطي عن بالك
يا سامع نوريك مولى الأغنية نزل سين و ميم ل نكتبهالك

لقد رأى شيوخ الزوايا أن الشيخ السماتي فد عاكس الاتجاه الذي تتوجه اليه الزوايا ، و ما تدعو اليه من غرس الفضيلة و الأخلاق السامية خاصة و أنه ابن من أبنائها (تلقى منها المبادئ و التربية و التعليم) و لهذا قاطعه أصحاب الزوايا و عارضوا كل أشعاره ، ومع ذلك ظل متمسكا برأيه و تحول من الارتباط بالزوايا إلى الدخول في مرحلة إمارة العشق التي كان لها أجذب و أميل .
و مما يعاب على أشعاره تجسيد مفاتن المرأة (الأفخاذ) و إقحامها لعرصات الجامع و المحراب يقول:

افخاذك عرصات و البناي نوى في جامع نزلوامع المحراب جوار

إذ لا يجوز الاستهتار برمزية الأماكن المقدسة (المحراب) و (الجامع).كما نجد استهتاره في تصوير جوف المرأة بهلال العيد قائلا :

جوفك هلال العيد جانا بالأفراح بدر الدجى بين ابراجه طالع

لكن و بمرور الزمن صرح الشيخ بأنه صار مهملا لا أحد يأويه و لا أحد يصاحبه و أن امارة العشق لم تنفعه ، فعاش تجربة ندم و يأس لذلك حاول التكفير عما فعل و أعلن توبته تجاه خالقه و أبدع نصوصا كثيرة سماها " المكفرات " فيها تضرعات الى الله بأسمائه الحسنى يقول :

يا ربي بجاه اسمك الأعظم فرج عني بجاه (يس) و (طه)
يا حي يا قيوم باسمك الأكرم تكرمني من الحوض شربت نرواها

باسمك السلام : من سخطك نسلم لبسني حلة بسترك نرضاها

.....

الشيخ السماتي طالب الغفران يتم رحمة ربي واسعة نترجاها

و يقول في موضع آخر مبينا لنا عبره من الدنيا:

لا لي صديق يكون عند ه معلومات جوز الامتحان عنده مبادئ

.....

في صدري ديما الحيرة و التنهات و نصبر في القلب ما هوشي هادي

.....

ماذا عدينا معاه مزهوات حضرنا في الفيشطات و الأعيادي

و قد أعلن توبته أمام شيوخ الزوايا خاصة الشيخ محمد الصغير و هو شيخه الذي تلقى منه مبادئ التربية و الأخلاق يقول :

نخرج من بحر الندم بحرمتك ياك أنا مملوك القسوم السلطان

أنت كهف أكتافنا و الهارب ليك يمنع الحاصل فيك ب اسوار امتان

لكن محاولاته باءت بالفشل فشيوخ الزوايا اتفقوا جميعا على غلق أبواب الزوايا في وجهه حتى يكون عبرة لغيره .

4-الانزياح الجمالي :

يقاس الانزياح الجمالي بردود فعل الجمهور و بأحكام النقاد ، و الطريقة التي يتلقى بها هذا العمل هي التي تشكل معيارا للحكم على القيمة الفنية ، و ذلك على أساس التخييب أو الاستجابة للأفق السائد للجمهور . و القيمة الفنية لأي عمل أدبي ما تكون باتساع المسافة الجمالية بين أفق النص و أفق تلقيه ؛لأنه بذلك يوجه تجربة القارئ نحو أفق تجربة جمالية جديدة . كما أن أفق توقع أي عمل أدبي لا يكون بالتخييب و الاستجابة فحسب بل يتعداه إلى وظيفة الأدب في الحياة الاجتماعية للقارئ

و إذا ما تتبعنا أعمال أو أشعار الشيخ و حاولنا أن نقيس انزياحها الجمالي ووظيفتها في الحياة الاجتماعية للقارئ فسنجد أنها أعمال رائعة تكسوها حلل و صور جميلة أضفت رونقا و جمالا لمتلقيها كما عبرت عما يختلج النفس من مشاعر مرهفة ، و الدليل على ذلك أنها لاقت صدى واسعا خاصة في الحفلات و الأعراس و المناسبات المتنوعة .

لقد تبنى الشيخ السماتي التعبير عن مشاعر الآخرين ، أي أن من أشعاره ما نظم لغيره خاصة المحرومين عاطفيا ، حيث كان هؤلاء يطلبون منه قرض أشعار لجلب أو استمالة المرأة و مما نظمه لهذا الغرض قصيدة أم النون التي طلب منه التشبيب بها لأجل استمالة قلبها يقول :

يا من جيتيني على المشية كودة و ارضك جوبة راها اتعب مولاها

.....

بنت خيال م اكبار ظاهر لا جحدة لا تركب شعلى اللي من والاها

.....

لحواجب نونين في عنوان بدا قندوز ب خطه النسخة يقراها

عينك قالب في سباعي مرفودة في الخرزة تمحي الكبدة بمضاها

خدك وردا فاح كي لاح الغمدة اتبسم في وقته بريحة مقواها
اسنانك تبرور صافي في النقدة و الشفة حمرة نحيرة بدماها

.....

غنينا يا بنت لجواد العمدة ذا الكلمة في خاطرك قديناها
في خاطر دحمان ظاهر لا جحدة جبت على ام النون كلمة ترضاها

و قد نظمت هذه الأبيات بطلب من دحمان و هو عشيق هذه المرأة ،كما نجد أشعارا أخرى نظمت لأجل التشهير بالبنات قصد الزواج ، و من ذلك نجد قصيدة زهوى التي أشرنا إليها سابقا .

اضافة الى قصائد أخرى ظاهرها غزلي و عمقها الدلالي غير ذلك كقصيدة (مر على مالح) التي يقول فيها :

يا خوتي مر على مالح يمرار من ذاق المرين الاول و الثاني
من لا ذاق العشق و الغربة ما حار يعذزني من صار حاله كي حالي

.....

و الزهرة نجمة على شاو الحذار سراية خطارها عقب ليالي
أنا سهمي في النسا نجمة لفجار ما ننسى تاريخ ذا البنت قبالي

.....

و ركبنا بعد العشوية في لنوار مركب دوره زين ينزل عن بالي
نلقى من فوقه باقي ثلث اسوار برج مشيد في البحر سطحه عالي
كتبوني بالموت و الرايس يختار بالبصرين بلاستي سواها لي

إن المتمعن في الأبيات يجد أنها تصريح من الشاعر بحادثة أليمة و هي تهديده بالموت فانزاح عن المعنى الحقيقي و ذلك بالبوح عن الحقيقة بالغزل حتى لا يكتشف أمره .

لأشعار السماتي إذن وظيفة –كما رأينا و هي مقتطفات فقط و منها الكثير –في الحياة الاجتماعية للقارئ أو المتلقي منها : وظيفة تلبية مطالب العشاق في استمالة النساء و التشهير بالبنات قصد الزواج و الأخرى التستر بالغزل قصد البوح عن الحقائق التي يصعب التصريح بها

قانون التكرار :

التكرار ظاهرة من الظواهر الأسلوبية التي تسهم في عملية الإيحاء ، و تعميق أثر الصورة في ذهن القارئ " فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة و يكشف عن اهتمام المتكلم بها ، و هو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر و يحلل نفسية كاتبه"[7] فقد يكون التكرار جزئيا أي تكرار جزء – فونيم- ، أو كليا تتكرر فيه جملتان أو أكثر باللفظ و المعنى و هذا ما أكده لنا الجرجاني بقوله "و يعد التكرار من معاني النحو التي تبث في النظم – الكلام- الانسجام و الاتساق و التناسق ، و قد يكون التكرار جزئيا ، أي يكتفي فيه الناظم بتكرير جزء – فونيم - ، و منه الكلي ، و هو الذي يتكرر فيه جملتان أو أكثر باللفظ و المعنى ، و منه ما يكون تكرار في المعنى لا في اللفظ ..."[8]

فيأتي بذلك التكرار لإظهار العناية بالأمر ، إذ يقول الثعالبي في باب التكرير و الإعادة " ... و هي من سنن العرب في إظهار العناية بالأمر ...."[9] ، فالقصيدة الشعرية تبنى عادة من عنصرين أساسيين هما : التكرار و التنوع ، فالموسيقي يكرر نغمة بعينها في أنماط محددة ، و كذلك الشاعر فهو يكرر أصواتا بعينها في أنماط بعينها " فهو يحقق لقصيدته النظم و البقاء"[10] و هذا ما سنحاول الكشف عنه من خلال استخراج مواطن التكرار البارزة في ديوان الشيخ السماتي .

1/تكرار الضمير : و نخص بالذكر هنا الضمير- أنا -الذي عمد الشاعر إلى تكراره تأكيدا للذات (الأنا) في مواجهة القدر و المرض و في طلب العفو و المغفرة إذ يقول الشاعر في حق أولاد لغريب و هم من منحوه لقب السماتي :

بديت قولي ب اسم المولى رب يكون في عواني
للشايعين في كل اعمالة صحرا و تل و الزيباني
لولادت لغريب جملة براح ما يكف لساني
.....
طبة يطببوا في العلة و أنا بعلتي عافوني
.....
لطباب عندهم مهمولة و أنا خديمهم تركوني
أنا اليوم جبت عليكم باقي اتبلغوامرضايا
و أنا اليوم جبت عليكم لفظي جديد زين و غايا
.....
أنا اليوم في شدة ليك شكيت لازم اتغيثني يا ولد الحرة

إن الضمير أنا يحمل دلالات عميقة مباشرة و غير مباشرة :

الدلالة المباشرة :

أنا ← إثبات الذات العربية في المواجهة و طلب العفو و المغفرة .
← التمسك بالجذور (الأصل) .
الحفاظ على الشخصية بالرغم من المعاناة و التهميش .

الدلالة غير المباشرة :

أنا ← الحياة .
← القوة رغم المعاناة .
المواجهة و التصدي .

2- تكرار الفعل :

نجد هذا التكرار في قصيدة : لوكان تدروا ما بيا " يقال إن امرأة من الجلفة طلبت منه قصيدة فقال مستجيبا لطلبها بهذه القصيدة "[11] ، إذ يكرر الشاعر الفعل (يعذرني) الذي يعبر

عن المحنة التي يمر بها الشاعر محاولا نقل هذه المعاناة إلى من حوله و قد تكون هذه القصيدة كما أشرنا سابقا تعبر عن معاناة المرأة التي طلبت منه نظم هذه الأبيات و منه نجد :

يا خوتي لوكان تدروا ما بيا يعذرني من فات له ذايق لمحان
يعذرني من صار له كيف أنايا و يعذرني من عام جهلاتلويدان
يعذرني من جرباحوال الدنيا اللي ما ذاق الحب يسمى حيوان
يعذرني من شاف عين السعدية شبة لدمي كي ايفز مع لصحان

لقد عبر الفعل يعذرني في الأبيات السابقة عن شدة الحب و المعاناة و الشوق لهذه المرأة التي تركت له فراغ كبير ، لهذا نجده يطلب العذر في كل ما قاله في هذه المرأة من خلال إبراز مواطن الجمال فيها و في تعداد صفاتها و مفاتنها .

2- تكرار الجملة :

لقد كرر الشاعر الجملة الاسمية و الجملة الفعلية في مواضع متنوعة في قصيدته الموسومة تحت عنوان : التضرع إلى الله ، و نجد ذلك من خلال تعداده لأسماء الله الحسنى ، من خلال مناداته المملوءة بالتضرع إذ يقول :

يا ربي بجاه اسمك الأعظم فرج عني بجاه " يس " و " طه"
يا حي يا قيوم باسمك الأكرم تكرمني من الحوض شربة نرواها
باسمك السلام : من سخطك نسلم لبسني حلة بسترك نرضاها
باسمك الرحمن : رحيم و ترحم نفحة من نفحات فضلك نلقاها

.....

باسمك القهار تقهر كيات الخصم عديانالكيات تقهر أشقاها

.....

يا ستار بغيت سترك الدايم يا رؤوف طاعت نفسي بركاها

.....

عبدك قاصدليك ب أفعاله نادم يا منشيء ذا النفس تقبل دعاها
الشيخ السماتي طالب الغفران يتم رحمة ربي واسعة نترجاها

إن تكرار هذه الجمل المتنوعة سواء أكانت اسمية أم فعلية جاء ليعبر عن ندم الشاعر و تضرعه إلى الله طالبا منه الغفران ، إذ حمل هذا التكرار دلالات نفسية عميقة جاشت بها قريحة الشاعر ، كما أنها ساهمت في تحقيق النغمية في الأسلوب ، و هذا ما أضفى على القصيدة جمالية في التلقي ، أي في التأثير على متلقي هذا النص المملوء بالإيقاع الموسيقي ، إذ نجد ذلك في التضرع إلى الله بأسمائه الكثيرة و المؤثرة

-خاتمة:

إن اعتماد جمالية التلقي و التأثير الذي تحدثه في المتلقي هو ما يساعد على تحديد القيمة الجمالية للنص الأدبي شعرا كان أو نثرا ، و ذلك من خلال النتائج التي تحققها عبر تاريخ تلقيها ،بغض النظر على مبدعها و المرحلة التاريخية التي عاصرها

ما تجدر الإشارةإليه في خاتمة هذا العرض البسيط و المختصر -فأعمال الشيخ لا يكفيها مجرد عرض بسيط ليستنطق مكنوناتها – إن للشيخ السماتي أعمال رائعة استطاع من خلالها أن يثري خزانة الأدب الشعبي ، هذه الأعمال التي خلدت اسمه ووضعته موضع

يستحق الذكر و التبجيل ؛فقد كان شاعرا عاشقا ناقلا لتجاربه و ناطقا باسم من استنجد به وصف و علق ،و أباح و استظهر . أما عن أعماله التي لاقت نفورا و اعراضا خاصة من طرف أصحاب الزوايا فقد استدرك الشاعر نفسه و تقرب من ربه ، و طلب الصفح من أصحاب الزوايا من خلال أعمال رائعة كفر بها عما صدر منه.

أخيرا و ليس أخرا فلأشعار السماتي جماليات تلقي رائعة لاقت قبولا في الحياة الاجتماعية للقارئ كيف لا و هي التي استنطقت العواطف و المشاعر الظاهرة منها و الخفية و نستثني من القراء أصحاب الزوايا الذين عارضوا بشدة هذه الأعمال و عدوها خروجا عن الأخلاق و المبادئ و القيم .

الهوامش :

[1] أحمد الأمبن ، صور مشرقة من الشعر الشعبي الجزائري محمد بن قيطون –الشيخ السماتي –القاضي عبد الله بن كريو ، دراسات و نماذج ، دار الحكمة للظباعة و النشر و الترجمة الجزائر ، 2007 ص : 118.

[2] أحمد الأمين : من فحول الشعراء في سيدي خالد بسكرة ، دار السبيل للنشر و التوزيع ، الجزائر 2008، ص 243,244.

[3] Hans robert jauss.pour une esthetique de la reception .gallimard paris . 1978. P -3 24.

[4] نقلت من أرشيف خليفي أحمد بقلم الشاعر أحمد سعدون .

[5] ابن عربي ، حياته و مذهبه ترجمة د/ عبد الرحمان بدوي نشر وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم بيروت ، 1979 ، ص.190.

[6] Qu.est que littérature gallimard. Paris . 1947 p 40.

[7] نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، 1952، ص 240.

[8] إبراهيم خليل ، اللسانيات و نحو النص ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، 2006 ص 231.

[9] أبي منصور الثعالبي ، فقه اللغة و سر العربية ، تحقيق فائز محمد ، مراجعة و فهرسة إميا يعقوب ، محمد الاسكندر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،ط2006،1: ص 289.

[10] فاطمة محجوب ، التكرار في الشعر ، مجلة الشعر ، العدد الثامن ، 1977، ص 29.

[11] إبراهيم شعيب ، الديوان العاتي للشيخ السماتي مع إمارة العشق من المسار إلى الانهيار ، خزانة التراث الشعبي ، ط1، 2012.